ألف قلم يسطرون

مقالات

خالد الإمام

دار كليوباترا للنشر والتوزيع

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
الإمام/ خالد
ألف قلم يسطرون / خالد الإمام
ط1. / القاهرة : دار كليوباترا للنشر والتوزيع.
ص 70، المقاس 14*20
الترقيم الدولى : 978-977-6619-58-6
رقم الإيداع: 2017/28186
تصنيف الكتاب :
مقالات

الناشر دار كليوباترا للنشر والتوزيع

إشراف عام: عفاف محمد على المدير التنفيذي: ضحى جبر

تصميم الغلاف : بانسيه أحمد

عمليات الإخراج الداخلى والتصحيح اللغوي (طه أحمد)

(دار كليوباترا للنشر والتوزيع)

المراسلات:

لإتصال: / 01125574129 / 0225244534/01019983371

dar.cleopatra@gmail.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف والناشر، ويحظر نشر أو اقتباس هذا العمل , ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية.

الرسالةُ الأخيرة

أعلم أني تأخرت لأغلق بابكِ، لا لشيءٍ سوى أنكِ أَوْكلتِ مهمة إغلاقه كلها لي.

لا أخفيكِ ما قاسيتُ من عذاب فطامي منكِ ، يومها لم أتناول شيئاً ليومٍ كاملٍ لأن قلبي كان يضخ الدم بعنف غاضب، و بسرعةٍ الخائف الملهوف، فما حاجتي للوقود إذا كان الأتون مشتعلا!

لم أستطع النوم بهذا النبض العنيف، استمر الحال هكذا حتى أدركتُ أني كمن لدغه ثعبانٌ و أوشكَ على الهلاك ، فربطت ذراعي المصابة و مصصت السم و بصقته على الورق، فما زلت أشكل السم على هيئة الحروف و الكلمات حتى أتممت أربعين ورقة .. لطالما ارتبط الأربعون بالحزن.

أمضيتُ ثمانية عشر شهراً أذكركِ، بالخير تارة و بالشر تارات، لا تغضبي فقد لمت و عذبت نفسي أكثر، فنفسي إن كانت قاسية فأنا

أول من يقاسيها و يتحمل بطشها.

و لما آن الأوان أن يبدأ القلب صحوته و انفراجه، وجدت أني مدينٌ لكِ بالكثير، بل أنا ممنون لكِ يا عزيزتي.

أشكركِ لأنكِ عندما تركتني في أشد الأوقات ظلمة ووحدة، فزعت إلى الله الذي هو تمام النور، و الصاحب في السفر، كم سعدت عندما ذكرتني بقوتي عندما أُلقَى للحياة أصارع وحيدا..و أنجو.

فعلتي الصواب و لا تثريب عليكِ، غير أني طمعتُ في قرار كلانا نأخذه..كان سَيَعْنِي لي الكثير..و سيهوِّنُ عليّ الكثير والكثير. أشكركِ أنكِ أوقفتي استنزاف روحين منهكتين قبل أن يهلكا.

أشكركِ على حزنٍ طويل و خريفٍ قاسٍ مررتُ به، لولاه لما نَضَجْتُ و ما فهمت كيف يكون الآخر مكسوراً صامتاً ، ليس هناك مِثْلَ الحزن يجعلنا نَنْضَجّ.

أعترف بأني قصرت كثيرا في حقك، لكن أخبريني كيف يحتضنُ الماءَ زيتاً مغلياً ينازع الجميع و ينهكهم حتى يحترقوا، ثم يسألُ هل مرّ أحدٌ من هنا؟ كيف يتلاحم قطبين سالبين كلاهما ينادي الآخر ولا

يقدر على جذبه؟ لم تستطيعي أن تُغيّري خصائصكِ يا عزيزتي ، ولا أنا ، لا بأس ، فبعض المواد لا يسعها إناءٌ واحد.

أشكرك لأنك صددتيني عندما حاولت إنقاذكِ من التخبط و الهبوط..من يدري لربما انتكستُ و عدت لأحرث البحر مجددا ، وأنْهَكُ فأنهار في فترة النقاهة.

أشكركِ لأن وحشة الوحدة جعلتني أُقَدِّرُ أقلَّ القليل.

أشكر مشكلاتنا الكثيرة فقد جعلتني أتقن فن اختيار المعارك، و فطنة الانسحاب قبل الحرب.

أشكركِ أني توصلت بعدك إلى مبدأ جديد في العلاقات...أن أُسعِد و أُسعَد...ولا مكان لنزاعٍ على حماقاتٍ كنتُ أظنها مكاسب.

أشكر الله أن منحني طاقةً بعد تعب، و حيويةً بعد فتور، و ليناً بعد غلظة، و سكينةً بعد شقاء.

أشكركِ فمنكِ تعلمت أن كلَّ كوبٍ يجب أن يُملأ قبل أن يُفرغَ ، وأن أيَّ كوبٍ فارغ لا يستطيع العطاء، فيجب أن نحسن اختيار من يملأ كوبَنا و أن تكون أكوابُنا كريمةً أيضاً.

مجددا، أشكر الله دائما و أبدا على السكينة و الرضا.

أشكركِ عزيزتي، حقا و أتمنى لكِ السعادة و السلام، لكِ كلُّ الاحترام .. و الغفران.

تراتيل العشق

إلى قبلة ملساء يشتاق ثغري، فأين هواكَ؟ قالت.

يحتاج إلى دفقة شعرٍ تدفعه هناك، إليكِ. قال.

أتطلب الشِعر مني و أنت من أنت! قالت.

أنا أعجز عن الكلام معكِ، في حضرتك يتبخر حلوُهُ أولاً بأول. قال.

سأغيب إذا .. ليتخمر الكلام فيسكرني. قالت.

و تعيديني لأيام العذاب؟ قال.

خَجَلَتْ .. فقال: تحدثي دفئاً تجديني أصبَّ عليكِ أعذب الكلمات، أولم نتفق أنكِ دفء الشتاء و المساء و أنا الصدى في ظهرك؟

فقالت: سئمت الهزيمة في مبارزتك .. ألا تربحني مرة؟

قال: فلا أصير فارسك القوي؟ و يسقط درعي من عينك؟

قالت: سل ما تريد. و تنهدت بصوت العصافير.

قال: رتلي علينا آخرَ ما كتبتِ .. يا زهرتي .. فليصمت دبيبُ قلبي لأُنصت للكلام.

قالت: و من بعدِه تقول؟

قال: جربي.

قالت:

حُبّكَ كفراشةٍ بجَناحين زرقاوين إلى النجومِ سافرت.

كأسْرِ روحي قبل نُطقِ الشهادتين .. أطلقتَها فتحرّرت.

كلماتي في غير حبكَ همّاً أؤجله لغدٍ بعيد.

و من مراسي الظلام إلى نور روحك أحلامي أبحرت.

و نلتقي إلى أن تلتقي الأقدارُ بربّان أحلامنا فيقودها نحونا أكثر .. فأكثر .. فأقرب.

تماماً كما أضمّكَ بين ذراعيّ إلى صدري فأوغل أقرب .. فأعمق .. فأعمق.

لن أضيع وقتنا لنرتاح فهواك ينشط القلب التعِب.

قم و راقصني فبيني و بين السُكر رهانا و أظنه قد غُلِب.

لكَ مني حياةٌ و أمانٌ أودعهم غدكَ الآتي، و لكَ مني قبلة بين عينيكَ كل صباح لتزهر يومك حتى المساء و تأتِ لي، فتراقصني و أغلبك.

لك مني صغارٌ أعدهم ليكونوا مثلنا لا ينتمون لهذا العالم القاسي، و لكَ بيتٌ أملؤه بأنفاسي .. فلا تستطيعَ المغادرة.

أنا بين يديكَ، آويتُك جسدي، فذبْ فيه ولا تصارع، نم بهدوء الرضيع على صدري، و املأ صدرك بعبقي لترقد هائماً نائماً بسلام.

بعينين متسعتين قال: فما بكِ تدارين البهاء ! يا للنساء !

قالت: ليس على العجب اتفقنا، اروني بكلماتك طيلة المساء.

قال:

حبكِ كظبيةِ بعينين تحفهما رموشٌ كالطاووس إلي نظرت.
كدفء يدخل القلب، إذ كل مخاوفي هربت.
أوقاتي بلا حديثنا أو يديكِ دهرَ مديد.
و نلتقي في نومنا كي لا يضيع منا الليل، فأرى أحلامي أنورت.
كطائرين محلقين في السحاب ترفعهما نشوة الهوى أعلى .. فأعلى .. فأبعد.
كلما اقتربا من الضوء اتحد ريشهما معه، أبيضَ .. فأصفى .. فأومض.
لن نجلس هنا فنحن كخيل يطلق أرجله للريح، كلما زاد حبهما رمحا.
و إذ ضاقت بأحدهما الدنا، ففي وسع عَيْنَيْ حبيبه رنا.
لكِ مني ظهر و ذراع، و راية تقود أيامكِ، و لكِ ضمة كل مساء تطرد عنكِ وحوشك الدائمة، فتسكني.
لكِ مني جوهرتين تطفئ النساء، ولا يضيؤهما سواك، و لكِ الصفات المشتهاة، و هاكِ اثنتى عشرة قصيدة خَطتها يمناي قبل أنَ تخالج هواكِ.

قالت: بل أحْيِهِمْ بصوتك.

قال: سأرتب ألوانها .. و أنتقي من تيجان ورودها أزهره .. و أشْمِمُكِ عطره.

فأرخت أجفانها .. و توسدت عاتقه .. و قبّلت نحره.

الفقد

اعتدت على الفقد منذ الصغر، فقد الألعاب لسوء ذاكرتي، فقد الأشخاص في سفري صغيراً، افتقاد أبي في غربته معظم العام، فقدان خططي و أحلامي للصيف المقبل بعد أن رتبتها على الورق طبقاً لأهميتها، لتذوب كل أحلامي مع قول أمي "لا" كما يذوب الحبر من الورق ! فقد درجاتي و علاماتي الدراسية و فقد آمال أمي فيّ بعد مراجعة نتائج الاختبارات، فقد أمي و حنانها في سنٍ صغيرة، فقد الصديق و الرفيق تتابعاً، فقدان شغفي بحثاً عن الرفيقة.

المشكلة ليست في ألم الفراق أثناء الفقد .. ولا في الجذب والنزع والبكاء حينها، الضرر الذي يحدثه الفقد أشد دماراً على النفس من أي شيء ، كثرة الفقد تفقدك القدرة على الالتصاق بالأشياء، تقلم أظافرك فلا تتشبث بأشخاصٍ جُدد، ولا تستطيع منع المغادرين إذا حاولوا .. تترك فيك رهبة من التعلق بصحبة جديدة، فتطور حاسةً

تمنعك من التعلق بهم فلا تفقد من لم يسرِ في روحك بعد، كأن تَشْخَصَ ببصرك بعيداً عن العيون، فلا تصاب بشظايا التِحَامِ مجال رؤياكما في المنتصف، ولا بشرارٍ نتج عن احتكاك بؤبؤتين ولَّدَا دفئاً تشعر به القلوب، و ينبذه قلبك المنهك .. و تخبو العيون بريقها و تذبل أجفانها عليها.

الفقد بالنسبة لي كالموت، فكِّر بالأمر .. من تركونا رغماً عنا، لن يعودوا .. و من تركناهم .. فنتمنى أن يعودوا، لن يعودوا .. و من تركونا رغماً عنهم لن يعودوا، و ربما لن نتركهم يعودوا .. على الأقل لمكانتهم السابقة، فما الفرق؟ إذا مات ما كانوا يجسدون لنا = ماتوا هم ، ليتبقى لنا أن نراهم أجساداً خاوية، أو أفظع، أجساداً ساحبة للروح و العين لا نطيل النظر إليهم كي لا ندرج في شريط ذكرياتهم الأليم، فنفر من وجودهم حولنا فرارَنا من الموت. و الموت ليس غاية الفقد كما تعلمون، فكم من أموات يزورونا أكثر من أصدقائنا، لكن ما يجسده الموت هو ما أقصده، العدم ، فناء الذكريات والاتصالات الروحية و موتها و فقد الأمل في إحيائها مجدداً !

سَخَافَاتٌ

سئمتُ الشتاءَ في ضبابي الطويل و سئمتُ الدربَ الموحش، سئمت نسماتِ تداعبني ولا ألقي لها بالاً، و سئمت من سرابٍ ألاحقه ، لا شكل له ، يهمس لي "ستراني غدا"، و سئمتُ البدايات، مازالت تدهشني قدرتها على صرعي قوياً ما أكون، لازالت قادرةً على نزع غطاء عيني في آخر الليل لتوقظَني و تقول لي "انهض و اكتب عني في مفكرتك تلك لأسمح لك بالنوم"، لا يعنيها برد الشتاء ولا جسدي المتعب من الرحيل وحيداً، لا تشفق عليه ولا ترق لأنفاسي التي تعبت لتدفئه، فأقولُ ضجِراً "سئمتكِ و سئمتُ عنفوانكِ و بأسكِ الذي أذوقه وحدي فترحلين في كل مرة مهطعة الرأس و أهرب أنا للسبات، سئمت السخافات"، فتقول "انسج سطورك في صمتِ و رتبها فليس لنا سوى الذكريات".

أقول لنفسي و ما الحب؟ الحب اثنان اتفقا أن يمشيا سوياً يحمل كلاهما الآخرَ، الحب هو أن تحمل عن رفيقك أساه قبل أن يقول كفى، ليس الحب أن تدنو وحدك بل الحب أن تزلفا، هكذا، لكن هيهات أن تريحنا البدايات، سخافات، لم أعد صغيراً يا بلهاء ولا غضاً، تملؤني الندوب و صقلتني رياحٌ هَبوب، صرت كهلاً و تشاكسني طفلة في العاشرة. لم يعد صدري يجاري عدو الصغار و لم يعد قلبي ينقر بعلو قرعه حتى يُلبَى طلبه. لكلانا ننتمي، إذا ما سرنا سوياً لن يضرنا الوجود، تظلنا الشموس و تحملنا البحار و يدفئنا الشتاء و صقيعه و تسقينا الرياح فلا نظمأ، بجوار أرواحنا نستغني عما سوانا، نجلس ممدودين ليتمدد صدرنا فنعبأه كما نشاء بعبق أنفاسنا، ليهبط منساباً .. الروحيَ في الجسديّ .. نستمع لقصائد شعرٍ من الشام، تدلل عيوننا وجهينا و يمسح جَفْنَنَا ألمُ الآخر، هَوِّني عليكِ، لم أكن هناك حينها لأحملَ عنكِ، هَوِّني عليكِ.

للحب أنشد القصائد و ألوّن الأغنيات، أما لهو الصغار فللصغار. لم أفهم لماذا يعذب أحدنا الآخر بالهجر ولو لدقائق، لماذا لا نسلِّم

لسجيتنا زمامنا و نُلبِس خوفنا لجاماً طالما نروق لبعضنا ! التلون يؤلمنا، كتمان الحب يؤلمنا، طمر اللسان يؤلمنا، تأخير البوح يؤلمنا، تأجيل الرد يؤلمنا، جفاء الرد يقتلنا .. لنغفر كل ما مضى مع أول وصل ألاح به الحبيب للغارق في رؤياه.

أخذته أحلامه السامية لبرزخ بين المستقبل البعيد و الأبدية العظمى، و لم يَدْرِ في عالم الأحياء الفانين هو أم بين القديسين، فكان جفاء الحبيب له أحقر من أن تدركه عيناه في سموه، و ناداها تعالي لمشتهى آتٍ بعد البدايات، آن أن نستريح من بأسنا لنصعد في السماوات. هناك لا لوعةَ قلبٍ من بُعدٍ تفطره ، ولا خوفَ يومئذٍ من فراق، إنما نحن جسدان من ملح هذا الأرض أوشكا على الفناء.

فلنُبقي ها هنا الذكريات و نصائح الصديقات، ووساوس الوالدة، و نُلقي حيرتنا و شكّنا اللا نهائي في المقبرة.

مازلت أحدث مفكرتي و ترد عليّ أصداءَ في الحجرة "لازلتَ كالطفل يخبط الأرض بقدميه لتحملَه أمّه و تريحه من عناء المشي، غير أنك

أشيب الشعر ولا تقوى على عناء البدايات" .. "سخافات" قلت و "خيبات". فتقول "لولا البدايات ما عُرف للحب يقين، فالحب نزهة الخادعين .. و ابتلاء الصادقين"

لربما يُرضي غرورك الأنثوي بعض المطاردة .. سنرى.

فِي ذَمِّ الضَّعْف

أفي ذمِّ الضعف البشري أكتب؟ أم في قدح القلوب و جياش فتوتها، هياجها الجامح بعد الخمول؟ أم في قبح الوحدة أطلق أقلامي لتكتب ما تشاء في وصف بشاعتها و خراب حروبها؟ .. ألم الجوع شديد، لكنه لا يُضاهى بنكالٍ يحلُّ بك بعد شذاً يمر بإحدَيْ نافذتي أنفك و يخرج من الأخرى، ساحباً روحك اللاهثة وراءه، بعد إبصار الثريد لن يَقْوى أعتى حراس الصبر على احتوائك، لن تذبل عينك الآن بعد اتساع حدقاتها، تدب فيك قوى البرية جمعاء .. إصرار الليث على إنفاذ غريزته في البقاء، عدو الطرائد لإنقاذ أرواحها لاهثة للبر الآمنة، تحديق البوم في عتمة الليل، عواء الذئب لقمرٍ بعيد ناعياً قصر أطرافه.

تصارع الهلاك بضراوة الناجي، لم تُطفِئ أثر الفراشة فيك، و لم تجهله، فتبقى قدر بأسك مستعراً باللهبِ حتى يخمد .. و تموت.

أشد ألمٍ يلم بك هو ذاتك العليا، خيبتك الكبرى في نفسٍ خرّبتها الوحدة كأرضٍ فلاه، فارتقت عن الميل للحاجة البشرية إلى فضاء يملأ الروح والجسد، لكي لا يخدش روحك ظفر امرأة، حتى صارت أعلى من الفناء و الألم، أو هكذا ظننت ...

دسست يدي في أحشائي لأُسكتها، عصرت بقبضتي شرياني التاجي، زفرت آخر نفسٍ دافئٍ في صدري، أطلقت آخر شعاعٍ من عيني، أطفئت وقاد عقلي فأسلمني للنوم، الآن وقت خروجي مني، فلأغادرني بسلام دونما مقاومة، كفا ما فعله الجنين المجهض بجسدي، فأي حياة في هذا الخواء مُقدرٌ لها الموت.

غايةٌ ما يفعله التعلق بالأمل بعد طول وحدة هو تذكيرك بأن أرضك لم تَبُرّ بعد، و أن البذور الخفيفة التي تحملها الرياح بغير اكتراث ستجد عندك الدفء و الرذاذ، و أن عناصر الحياة أشد وطئاً من الموت، فتوقظه إن حاول هو إخمادها، أنك رغماً عنك تحب الحياة و لكن تكره الألم، يصدك عن إكمال الحُلم صوتُ تمزق الجذور الغضة في النزعِ بيد من زرع.

بَوْحُ الأَرْوَاحِ

رأيتكِ كما أردتكِ وأكثر، هناك في جانب البرزخ المضيء حيث تصطفُّ الأرواحُ المتشابهة جنباً إلى جنب، هناك تحت النافذة تقفين ، تُعدين الفطور و تضعين الزهور على المائدة لمن لا تعرفين، كذلك كنتُ بالجوار، أدرب نفسي على الكلمات و الصفات ولا أضع العناوين، فحياة البرزخ مبهمة، مديدة و موحده ولكن ليست مُوحِشة. سلوتنا الأمل و تحفنا هالات نورانية و يهمس الصدى حولنا بتراتيل الملائكة، فتُجلي دواخلنا و تحمِلنا السلام و أمانيّ كثيرة لم أعرف اسمها، ولا موعداً ولا شكلاً لها، فأماني كتلك عصيّ على مخيلتي جمعها و تشكيلها، لكني سأحلم، حتى يتحقق على الأرض بشارة أهل السماء و وحيهم.

بالكاد تعرفينني و أعرفكِ جيداً، حالما شممتُ أثرَ طيفِك المتناثر بين عباراتك و حول حروفك علت البسمة فمي، عرفتكِ، لأن الطفيف منك يدل عليكِ، لأننا انتمينا أكثر لأرواحنا بعيداً عن هذا الغلاف الطيني الذي يحدَّنا و يمنعنا من التحليق، و يضعنا في قالبٍ بشريٍ معدودةٌ حروفُه و محدودةٌ طبقاتُ صوتِه، فلا يستطيع الحديث ببهاء السماء و سكانها ولا النورِ المتلألئِ في عينيكِ إثر انعكاسه على وجوه البحار، ولا النسيم المحمل بعبق الصنوبر ولا عزف العصافير على أوتار الضوء إذا تخلل الغصون و أوراق الربيع. أعرف ذلك يا عزيزتي، فسعينا للكمال كان عاملنا المشترك في انزوائنا هناك معاً، و لأن توائم الأرواح مقدرا لها أن تلتقي لتسكن بعضها داخل قوالبها الآدمية قبل النشور و الاتحاد الأبدي.

ولأنكِ عذبةٌ كأمِّي، جلستِ وحدكِ وَسْطَ مِئاتِ المفردات تنتقين أكثرها أصالة و دفئاً و تُرَتِّبِينَ مختاراتك الدقيقة كما ترتِّب الأمّ الرّؤُومٌ الطعام في صحن وليدها الأول، فتغزلين لغةً غايةً في الكمال ، تُطرِبُ

كلَّ ذرةِ هواءٍ نقلتْ ذبذبةً جاوزتْ شفاهَكِ، و يذوبُ القلبُ طرباً لسماعك شادية، و أنتِ بالكاد تتكلمين.

ولأنك حالمةٌ كأمِّي، كانت تصادق النجومَ و تُتقنُ لغةَ العيون، كانت تأبى أن تعكس صورة الركام حولها حطاماً، بل تصقله بحنان بين جفنيها حتى يخجل أن يصير حاد الحواف أو أنْ يخدشَ جلدَها، و يراهُ المارّونَ رُكاماً و تراه رخاماً، كذلك أنتِ، و كما تعلمين يودٌّ كل الرجالُ الزواج بأمّهاتهم. لنْ أغازلَ وجهَكِ الوضيء ولا حمرةَ الخوخِ في خجلك، بل أقول أطلعيني على آخر ما كتبتِ لأنعمَ بخفَّةِ رُوحِكِ تملأُ إيغال صدري، أريني مفكرتكِ الصغيرة و خطَّك، فبين تكوير الحروف و نقاطها يفوح عبقُ الزهرِ منكِ، أشمَّهُ وأنتشي- فالحبّ إن كان صادقاً يجلي الأجساد أمام البصيرة فيمررها إلى الروح مباشرة، إلا أن الله لم يشأ أن ينقطع الروحيّ فيكِ

عن الجسديّ، فأسبغه طباعةً تكشفُ عن زفرةٍ من رُوحِه في الكمال.

أعلم أنك الآن مُنهَكَة، لم تحملْكِ ضواحي بلادكِ ولا سواحلُها، عرفت لأني سبقتكِ في الانهيار، استريحي الآن و اصغي إلى صوتك الداخليِّ يخبرُكِ أنه حان موسمُ هجرتك مع السرب المحلق في الهواء، استريحي فربما يغلبكِ الخوارُ لبعض الوقت، لكنَّ طيفَكِ المتجددَ سيرممُ بلّورتَهُ المتناثرة، و لأنك خُلقتِ من ماءِ الحياة ستهُبِّينَ في نماء كالعنقاء تُبعثُ من رمادها بعد احتراقها.

مُنيتي، كنت على أشدِّ ما يكون اليقين بلقائكِ، لأني أومن بالنبوءة، و لأنني رأيت اللهَ و رحمتَه بعبدٍ طال سعيُه بحثاً عما جُبلتْ عليه مخيلتُه أبدَ الوُجودِ، فأبى أن يرد عبداً أودعه حبَّ الكمال و فَطَرَهُ على الرضا إلا به، و كيف يعذِّبُ اللهُ عبداً على فضيلة ذابت في قلبه، فلم ينبض لسواها هكذا نبضْ.

و إني لأهلع من خاطرةٍ تلوح لي بفقدِكِ، تعصِرُني غريزتي الذكرية الأنانية، يصيح صدري و أنا بالكاد كابحٌ جماحي مخافةَ اعترافي، أروِّضُ صدري على الألم الذي يفصله عن الأبدية، فالأبدية تلزمها الأنانية، والأنانية من حب البقاء و أنا أحب أن تبقي لي وحدي أنتِ وحدكِ.

أيا توأمي السماوي، ناديتُكِ فأقبلي و أشرقي بداخلي ليُزهر البيلسان، و ضعي قدميكِ إثرَ خُطايَ لينبت الريحان، و دَعِيني ألمُّ أطرافَكِ في ضمةِ تُدفئُ قلبَكِ، فضمَّكِ في خضمي يكفكفُ دمع ليال الشتاء، أزيلي متاريس الضلوع عن قلبكِ ليطمئنَّ بمُبتغَاي، برفق قبل أن يجرفها فيضي اللانهائي، أو يميل لسواي، اسلميلي لتبدأ حياتُنا اليوم، لتهنأ حياتُنا اليوم، لتقوى يداي، و أرفعُكِ إلى السماءِ كالأطفال أباهي بكِ الأقمارَ و الأقدارَ و تلمعُ رؤاكِ، و أسمعُ نجواكِ تهنئُ نجواي.

آسِفٌ

أنا آسفٌ حقاً، لم أُدرك قدر الاندفاع الذي يمكن أن تُحدثه اللهفة، قد أبدو إليكِ مزعجاً كقطٍ جائع، أو كطفلٍ يلحَّ على أمِّه لتترك طهيها و تلاعبه.

قد تظنيني أبلهاً أو مراهقاً، لكني لست كذلك، أعدكِ بذلك، كنتِ لتُصدِّقيني إذا رأيتِني في وِحدتي، إذا أحسستِ الخراب الذي حل بوادٍ أخضرٍ كانت تموجُ عليه بحارُ الشمسِ الدافئة، وادٍ كهذا حتماً كان سينشد مع أول شقشقةِ عصفورٍ ضلَّ عن سِربه و جاء مصادفة بكل ما فيه من صدى، ليعلوا صداه مع اشتياقه شاقاً السماوات و الأراضين، مشققاً جداولَ و ينابيع دافئة في قشرته، قائلاً " ابق ارجوك، سأعيد الحياة إليّ من أجلك، دعني أكون وطنك."

أيا عصفوري الضال لا تفزع من صداي، فحتى أنا .. لم أعرف أني مازلتُ قادراً على الغناء بهذه القوة.

بالكاد تعرفينني، و أعرفك كما أعرف نفسي، فأنا أومنُ أن الزمان دائريّ و متكرر، لا ينساب كشريط الذكريات مرة أخيرة قبل الموت، بل لديه ذاكرة تعيد ترتيب نفسها طوال الوقت، فتصنفنا طبقاً لأرواحنا في خانات، هذه أرواح شفافة و تلك مضيئة و هناك دائرية محيرة و أخرى تعبت من السفر، أبتسمُ مع كل إجاباتكِ على أسئلتي ابتسامةً مَنْ حَزَرَ و لم يخِبْ حدسُه، لأني أعرفك جيداً قبل أن تعرفنا الصدفة، إنما أسألكِ لتعرفيني أكثر، كأن أسألك من شاعرك المفضل، فتجيبي و تسألي بعدها "و أنت ؟".

و لأننا التقينا في البرزخ من قبل، تتدافع إليّ ذاكرة سرابية الآن تسرد لي أحوالك هناك، فيم كنتِ و ما يضحكك و ما يقطر عينكِ دمعاً، و يختلط السراب بهواي فأحملك بكل جميلِ رسمته في مخيلتي و لم أخبر به أحداً، و أتمادى فأصبح حالماً ساذجاً و أخالنا نتكلم الفصحى و نردد الشعر معاً و نقترب لنتبادل النفَس الواحد مئات المرات.

آسف عزيزتي .. لم أشأ أن أحملك أحلاماً تدور في فلكي و لم يَدُرِ الزمانُ ليكررها في فلكك بعد.

و أخيراً آسفٌ لي، لقد خذلتُ نفسي، منذ أن شممت روحها بين سطورها و تحت نقاط حروفها، ثرت كأرعن لم تكسره العاصفة يوماً، و لم تحطمه خيالات سابقة، تناسيت عهودي المنقوشة بلون الهوان يصكها ختم الكبرياء، لماذا انتكستَ يا ضعيف؟ ولا تستعِرِ الوحدةَ إجابةً لك! فالوحدةُ و إن كانت قاسية لن تحرمك النوم، لن تنتظر رسالة في منتصف الليل تكون أحلى من أحلامك، فتفتح عينيك ليلاً تتفقد هاتفك كل قليل، لن تعكر صفو مزاجك بإعادة حديثكما معاً لتفتش فيه مراراً عن كلمة ربما أزعجتها.

لم تعرفني روحها ..

ولا أنا أيضاً .. لم أعد أعرفني !

أنا لم يَهُن هواني عليّ ولن يهُن، لستُ بهذا الضعف لكي أستقي سعادتي من بضعِ حروف خاطها إنسيّ.

لم يحن الوقت بعد .. و ربما لن يَحِنْ ما الفرق؟ فكلنا إلى الهلاك سائرون وحيدون كنا أو مجتمعون، و سَيْرِي لحتفي منسابا بلا ارتطام ، أقيم لعزتي و لصورتي الذاتية، كنخل السماء أقضي وقوفاً، لا أسقِط دمعاً على المارين بظلي.

لن أعد نفسي هذه المرة ، فإخلاف الوعود من شيم السفهاء، و أقسم لكِ أني لست سفيها، بل صاحب رشدٍ ضَجِرَ من عقله فأراحه و أطلق عاطفته تبصر بصيص بريقٍ علها لا تفقد البصر حين يحين يوم بعثها من جديد.

كَـــآبَـــةٌ

صمتٌ مطبِقٌ حلَّ بداخلي.

لا شيءَ يستحق عناء الذكر ولا خروج همهمة بين الجهوش و البكاء.

صوتٌ تجرح الحلقَ بَحّتُهُ، فأزهدُ الكلامَ.

هم لا يعرفون صراعي اليومي في النهوض من السرير.

إذا حلت فوقه الغيام الرمادية.

سريري قبرٌ مستطيلٌ سحيقُ العمق.

يهوي بي إلى أسفل كلما فتحتُ عيناي.

سريري محيط واسع دافئ المياه.

و جسدي صخرةٌ تهبط إلى قاعه بلا مقاومة.

تكوّمت الهمومُ فوق جفوني فأثقلتها جداً .. جداً.

يتلاشى المذاق من فمي، و أنفي، و عيناي.

برزخ بين الأبيض و الأسود، بين الحياة و الموت .. كل شيء مُوَحّدٌ بالرمادي.

شبحُ الهباء يحاوطني و يسحبني فيه.

أتسرب مني إليه حتى الخواء.

خواء بداخلي لا يردد صدىً.

خواء لا يُصدِر إلا السكون.

الكآبة هي انعدام الأصوات و الأحاسيس.

هي جمود الفكر و العاطفة.

الكآبة هي العدم في أوجِه.

فقط صوتٌ واحدٌ يدعوك أن تكف عن القتال.

أن تسترِح من حربٍ خاسرةٍ قبل الموت جزاً.

أن تختَرِ الأسر على النحر .. أملاً في خلاصٍ ولو بعيد.

عما قريب سيصبح الليلُ صديقَك المرعب.

ستألف كوابيسك فلا تزعجك سوى لحظات .. ثم تغط في النوم ثانياً.

يجذبك النوم لتغرق أعمق فأعمق.

كأن تهرب إلى اللاوعي من واقعك.

رأسي تملؤه أسئلة ناقصة.

لو اكتملت .. لانهارت أركانه آنياً.

بطني ممتلئٌ دائماً .. جسدي يزداد نحافة.

أطرافي مخدرة .. عيناي مزمومتان.

قدماي يجرهما جسدي .. خُطايا مبددة.

دمي تملؤه عقاقير الاكتئاب .. و مستوى سكرٍ منخفضٍ.

و يعلو شفتاي علامة ازدراء أواجه بها كل هذا العبث.

أحب هذا السكون، فهو أفضل من الأسئلة ..

لذلك آتيه مستسلماً ..

تماماً ..

شَـــتَـــاتٌ

يعيشُ البعضُ في هذا العالم بشخصياتِ عدة ، أعنِى شخصيات مختلفة تماماً، واحدٌ في الباطن يشقى بين أفذاذ مواهبه و حدة عقله ، خيالٌ جامحٌ يحلقُ في عوالمَ لا تسعها الكلماتُ ، يشده عقلٌ إلى ضحالة وحلنا الواقعي فلا يدري كيف بوسعه أن يخرجهم للنور في آن واحد كلما صاحوا عليه طلباً للأولوية.

و الثاني هو شخصٌ يمتطي المرح و اللامبالاة لِيَعبُرَ في حطامنا الواقعي بأقلِّ ارتطامٍ ممكن، فيثبَط خَصمَه الباطني بكثرة الضحك و العبث حتى يظنَّ الناسُ أن لا حدود لسطحيته، حتى إذا كاد ينتصر يهوي مغشياً عليه من الإحباط.

و آخرٌ يسابقُ الزمنَ دائماً، له مضماران لا يعلم هل هما متصلان أم منفرجان أم كانا متوازيان، مضمارٌ أمضى فيه دهراً بين التحصيل و

التأويل يُقاسِي فيه شتاتَ العقل، و أوشك على ورود مراكزاً علا. و مضمارٌ ثانٍ يحب أن يسلكَه، يحب أن يُعَبَدَ الطريقَ إليه بيديه، يُبّلي فيه حذاءه ولا يبالي.

و غيرهم ادَّخرَ شغفَ الطفولةِ لشبابه، كلما هاج عليه راغباً في التحرر أخمده قائلاً: "ليس الآن، ربما غداً"، و إذا أرخى الطرفَ عنه برهةً أخمده الناسٌ قائلين: "ليس الآن، ربما غداً"، و إذا تغافلَ الناسٌ عنه أخمده القدرٌ قائلاً: "ليس الآن، و ربما ليس أبداً".
يصارع المرءَ كي يُبقي شغفَه حياً، يصرعه الخوفُ أن يفقد لذة الأشياءَ عند بلوغها إن فقد هو شغفه. إذ بفقدانها تفقد الأشياء ماهيتها، و يدور المرء في متاهة الأسئلة "أين أنا؟"، "من جاء بي هنا؟"، "أحقاً كان يستحق؟".

شتاتٌ بين توقي لعدالة الشارع هكذا بلا محاكمات ولا قضاة فمن أحق بالظلم أكثر من الظالمين .. و بين رَوِيَّةِ هذا الراهب بداخلي الذي يعرف خطيئة هذا العبث و يعرف هذه النار التي توقدها الجثث المدماة و صراخ الأبرياء.

شتاتٌ بين فرحي بإعجاب القارئ، و حزني على أنَّ ما أعجبَهم هو عصارةُ أساي، فدموع الكاتب حلوى القارئين.

و بين شخوصٍ ستة و غيرهم، ينقسم توأمٌ لكلِّ شخص هما أوجه الشتات، و بين هذه التوائمِ النفسيةِ يتولَّدُ صراعٌ يُنهِكُ صاحبَه، لينمو خواء رهيب بداخل هذا الشخص الحيوي فينهار في لحظات، أما الآخرون فيعجبون، كيف لهذا الجموح أن يضمر بهذه السرعة! فلا عجب أن يتساقط مثلُ هؤلاء مُنزَوِينَ بين الحينِ و الحين .. حسناً سأحاولُ نزع الفتيل.

- خيالي وواقعي، سأفسح لكليكما مساحته، و لكلٍ منكُما سأخط كتاباً.

- هزلي و كينونتي، سأظْهِرُ كلاً على حدا، هزلي سيأخذ الحظ الأكبر من الوقتِ و البشر، و كينونتي ستأخذ الحظ الأعظم مع القلة المختارة.

- سأترك الطريق الأصعب للطريق الأقصى، هكذا أفضل كثيراً.

- سأكسر ليالي الصمت و أخبرك، فلا تخمديني هذه المرة، امنحي شغفي قبلةَ الحياة، أخافُ أنْ أَطأ عتباتك مقتول الشغف.

- يارب .. ألهِمنِي الصبر و الحكمة لأغضَّ بصري عن النار التي تغوي العيون حتى تحترق.

- تذكروا هذا المحارب بين الصفحات.

. . . . . .

اهدأ
سنعلو
سنصل
أُحبُك
لن أنظر
سننتصر

. . . . . .

لم أفلح أيضاً !

أُومِنُ دائماً بالسعي لا بالنتائج .. لذلك سأموتُ سعياً.

الطريقُ شاقٌ ...

في مكافحة الاكتئاب

خَيَالاتٌ

أنتِ .. ولا سواكِ أنتِ.

لكِ طيفٌ لا يغادر مخيلتي.

أكادُ أبصركِ رؤيا العين.

واحة عطاء في صحرائي المقفرة.

تُضيئين بمحيّاكِ وجهي.

أنفاسكِ رذاذ على وهجي.

دفءَ صدرك طرَد عنِّي غبار الليل.

و أنا كفان تمسان على وجنتيك برفق.

بأناملي تُقبِل و بأظافري تُدبِر.

. . . . .

يُعجزني لساني في حضورك .. أنتِ جميلة.

تخونني بديهتي عند تذكرِك .. هي جميلة.

.. فقط ..

كأن روحها تعريف الجمال اللطيف.

هالتها تضيء حقاً.

ضوءَ له دفءَ كشمس الشتاء.

تشعَّ فيمن حولها اللطف الخفيف.

عنبرٌ يُنفِذُ إلى الصدور جمالَ طِيبه.

يلتفُّ حولكِ قريناتُكِ ليُغمَروا بكِ.

فيا سعدهم ..

إن لم أصِرْ حبيبَكِ لوددتُ أن أكون منهنَّ.

لو لم أكن ذكراً فحتماً سأكون إحداهن.

. . . . .

أراكِ من حيث لا ترينِني .. صافية.

ثقبٌ يطل على كينونتك.

أتخفى وراء زحامي كي لا تصنفيني.

كي تبذلي جهداً في إزالة الركام حولي.

كي أسمعَ دقات قلبكِ أثناء نبشي.

محيطٌ هائلُ الوسعِ .. أنا.

عالٍ موجُه، عمقُه لا يُرى.

بعضُ الحب يُدرَك، و بعضُه يُستحَق.

رأيتُكِ، و بقيَ أن تريني.

. . . . .

كأملٍ تحيا لأجلِهِ الشعوبُ.

أسعى لتكاملنا معاً.

و أنتِ ما شئتِ إلا أن تغادرَني الأنثى.

لو شققتِ عن صدري لوجدتِ ولداً في المروج يشخص للسحاب.

لا شأن له بواقعه المشتت.

هو من يرسم الغيم على شكل الطير و الكائنات.

ينصت لأصداء السماوات فيفطن للنبوءة.

يكون رسولها .. و تكونين شعبه.

تكفرين برسالته .. فيُريكِ فيه معجزة الصبر.

. . . . .

يداكِ الدافئتان هامدتان.

عيناكِ الضاحكتان يملؤهما الملحُ.

ألوان لن يراها إلا الساكن فيكِ.

سأنفث روح السعادة في فمكِ.

روحكِ التي أُشبِعتُ بها داخلكِ.

ها أنا أرد إليك ظلالها.

أنا لن يصدني عنكِ حزنُك و هواجسُكِ الواهية.

أنا المؤمنُ برؤاي.

أنتِ لي بطيفكِ المسجون بصدري ولو أبيتي.

كوكبكِ يدورُ في فلكي ولم تدري.

. . . . .

لكن .. لابد أن تتحققَ النبوءة.

لابد من أضحيةٍ إذاً.

سأعقرُ لهفتي على بابِ صمتك.

سأريقُ دمَ صوتكِ على مذبحِ الذكريات.

أشعل بخورِ الهوى إلى قلبك.

فتتراءى إليّ من خيوطه خيالات.

و نردد سوياً:

"دروبُنا الوعرةُ إنْ ساقتنا لغيرنا، عَرَفْنَا أننا ضللنا الطريق."

"و نَفْسُنَا إذا بالخوفِ حَدَّثَتْنَا، فَصِدْقُ عيونِنَا كافٍ لنُكمِلَ المسيرَ."

لابدَّ من تحقق النبوءة.

لابد للحب أن ينتصر.

ستؤمنين بي .. أعدُكِ .. حتما ستؤمنين.

. . . . .

هي، و من هي؟

ذات بختٍ بهي الإطلال.

كل الخصال المشتهاه.

قيثارة الحب و الحزن.

. . . . .

فِي مَدِيحِ القَلَمِ

أنبوباً بلاستيكياً كنتَ، أو ريشةً من نعام، يملؤكَ الكثيرٌ من المداد أو ترتشف القليل منه كل بضعة كلمات، بأي لغة تخط لك فيها رصيد يتجدد كلما حككت الورق، أو انسبت في تغنج على السطور كاتباً الشعر و الأغنيات، تثرينا بهزاتك و دوارن رأسك، يلفك الكتّاب في دورانات كالعلم منادياً محييه "أنا هنا، اعزفوا النشيد الوطني" كلما رزقهم الوحي حظه و انقشعت غيمة عن مداهم البصري، يلوحون بك في كل وقت، هيا استيقظوا يا رفاق فالوقت زاخر بالنقوش تهطل علينا من عليين، ارفعوا رؤوس مراقمكم و لوحوها بكل قوة ليصبكم بعضُ رزق السماء و تواترَ بين أعلامكم.

و لأنك حرَ، كنتَ أنت الحَمَامَ على نافذة السجن، صوت الثائر في المنفى، و حديث أمّة لم تملك من زمامها سوى لجامك، كم من حروب أقيمت من لحظةِ تهورٍ بالغ أذعنتَ فيها لفارسك أنه فوق

السحاب لو أعلاك فوق خوفه، فأطحت بأمّة كاملة في سبيل كبريائك. كم خافك الملوكُ أن تفوق هيبتُك عروشَهم، فكما تعرف غاية الملوك ألا تعلوا رقابُ رعاياهم فوق تيجانهم، لا سحابك.

و كم سمحت لنذلٍ امتطاءَك لِيَعْلوَ بين الجرذان منزلة، و لكنك أوغلت نفس القارئ أنفاً أن يطرب بما خط، إلا كل سماع للإفك خبيث.

يا فلكاً تحملُ تجارةَ من رأى لمن يسمع، و يدَ رسامٍ يلوح بفرشاته مشكلاً جناناً و أفنية، أو سراديب و أقبية، رسول عبر القارات كلها مبشراً بقرطاس أبيض، "لم آتي لأبشر بتعاليم جديدة، بل لأحرر عقولكم من طيورها و لأحل ضفائرها و أفرد ثناياها، فاجمعوا إليّ هلمّ، صوروا من النقوش فراديس و فاكهة تذوقها العيون و تلعقها الألسنة، اليوم كلكم مبشرون و ناشرون".

و أنا حين أمرر طرفكَ على الورق، يمر بي طيفٌ موسيقيَ فيَمليني الكلمات بنبرها الشادي، يصعد و ينزل على نوتته الموسيقية مدندناً

بطلاسمَ بين الحروف و اللاوعي، ولا عمل لي إلا أن أصغي بإمعانِ الرسل وقت نزول الوحي، فالحروف تتجلى بدلالتها المقدسة لتهبط فينا حساً قبل المعنى، و ما أنا إلا كاتب وحيها أو مترجم نصوص السراب السرمدي.

من غيركَ يرى فيّ ما لا يراه صحبتي غير الضحك و الهزل، من غيرك يراني كما أنا متخبطاً، مراهقاً، متعدداً، متفرداً، شجياً ناحباً، قويّ القلب .. أنت المحقق في مفكرتي، و حارس خزائني و محاسبي، أنت امتداد العقل إذا تواصل مع اللاشيء. بعض ما خططت لا أشاء أن يقرأه أحد، و بعضه كان السم في الوريد بذلته لأشفى، حتى أنا لن أراجعه حتى لا أتجرعه ثانية !

و أنتَ من أنت حين نهجرك و يحلُّ علينا سخطك، يصيبنا الجمود فلا نقوى على تقليبك بين أناملنا بسهولة، تعقد جدائل مخيلتنا فنرقد قابعين، نجمع شتات عقولنا كما يشد البحّار مركبه إلى المرسى، و كما تشق الفلك عباب الجليد، أيا قلمي ليس غير رضاك أريد، أمهلني إن باغتني البُعاد برهةً، أو رأيتني عن سطورك أحيد.

فِي اللَا انْتِمَاء

صدري باردٌ، أصواتٌ ما تهمهم حولي، تخاطبني بصوت المتخلي، غير عابئ بردي، فلا تثير فيّ الفضول، ولا أشعر بحاجة إلى شَقِّ هذا الصمتِ المريحِ لأجيبها. كلُّ ما سواي هباءٌ عبثيّ تمرّ عليه عيني بنظرة المقت ضئيلة الزاوية، كل شيئ يصيح حولي من أنت؟ و أُرُدَّ داخلي بامتعاضٍ "أنا لا أنتمي إليكم".

لا أنتمي للعيون .. عصيّ التفرقة، نرى ولا نرانا، لا أدري متى أسست علوم العنصرية و علمتنا معايير الأبيض و الأسود، الرثّ و الجديد، لولا العيون لما صنفنا أنفاث الله فينا بالقشور.

أعراقنا أشكالنا، لكنها لا تنم عن خصائص .. ولو كانت كذلك لكنا كالبهائم نُصنَّفُ بالفصائل .. و أنا لا أنتمي لهؤلاء.

أيها العنصريّ .. ما أنت إلا نطفةً لم تَخْتَرِ اسمَها، و لم تعملْ ساعاتٍ إضافية للون جلدها و شعرها، لم تقترضْ لتزيد قامتكَ، و لم تبتعد لتفادي العرجَ، و لم تسافر آلاف الأميال لاكتساب الجنسيةِ، و لم تنتقي والداك من المتجر. تأكلُ و تبولُ كمليارات النُّطَفِ، إن لم ترهق العقل و تبذل العرق تكاد من وسطهم تنمحي .. ألا تستحي؟

أكرَهُ تلك الذكرى التي اعتذر لنا فيها هذا الصبيَ البسيط على ركوبه معنا في نفس المصعد .. يا إلهي ! ما الذي قيل لهذا الصغير جعله يشعر بهذا الحرج حدَّ الاعتذار !

أحبَّ الأرضَ و البشرَ، و تَغُصَّنِي فكرةُ الحدود و الأعلام .. من يَعْبأ بالأعلام؟ الأطفال؟ الأطفالُ لا يجدون في تحيتها إلا فرصة للصياح بأعلى صوتٍ بلا عقاب، ولو كانت تحيتُه صامتةً لتجاهلوه تماماً. وحده الذي لم تنضج عاطفتُه يستمر في صياحه. فالله لم يخلق حدوداً لتعرفها الأعلام، ولو كان الناس سواسية كما شاء لهم، لما فصلتهم الحدودُ و لونتهم الأعلامُ، ولو كنتَ ذو لُبَ يقظ لصرخت فليحيا الإنسان .. و بالتأكيد .. أنا لا أنتمي لأعلامكم.

يتقابل الجيشان ويصيح القائدان بجنودهما أنهما أنصار الحق، و أن معهم اللهَ و المسيحَ و بوذا، و يحمّسان الباقين بالبطولة، يُدمر الجيشان بقسوة بعضهما ليعمر القائدان الخِزان. يموتُ الجنديُّ منهم متسائلاً: هل حقاً أردتُ بطولة؟ و ماذا تفعل أُمِّي بنيشان؟ هل استحق أن يلعق وجهي التراب؟ أنا فقط إنسان .. و أنا لا أنتمي إليكم.

ولا أنتمي لنفوسٍ يفوحُ منها الذُّباب، تملأُ عيونَهم نظراتُ الخُبْثِ، و تصارعُ ألسنتُهم أنوفَ الرجال و خدودَ النساء. ولا أنتمي لقلوبٍ تَمَلُّ فتهجر و يُكسِبُها البُعدُ نسياناً، قد ملّني النسيانُ و سئمتُه. ولا أنتمي للمدنِ ولا عوادمِ الطرقِ، ولا حكوماتٍ لم أشأها، ولا لبيتٍ لم أبنيهِ ولا لوحدتي بلا رفيقٍ .. كل شيء مؤقت و كل شيء لا مُنتمي، أنا لا أنتمي للبُقعةِ بل للناس و الرائحة.

أنا أنتمي للجمالِ، داخلاً فخارجاً، أنتمي لحدقات الأطفال المتسعة تُعَبَئُ من ألوان الدنيا ما استطاعت، أنتمي لكفوفهم الصغيرة تُلوَحُ لي و أحضانهم اللاهثة تُطوَقُ ركبتاي. أنتمي للبحار لكنني توقفت عن حب البحر مذ صنعوا السفن بلا أشرعة. أنتمي لنسائم الفجر تخرج من أنفها لتوقظني "حبيبي .. هلا صلينا و ارتحلنا". أنتمي لكِ و لنفسي الضعيفة الضائعة يلاحقها سوءَ الظنِّ. أنتمي للبياض في نفوس الناس، ذاك الصفاء الصريح يُصلح صرحنا المتهاوي، بكلمةٍ رقيقةٍ مخلوطةٍ ببسمةِ رِضا.

أنتمي للكلمة و مذاقها، قعقعةِ القاف سقفَ الحلق، عذوبةِ العين، سلاسةِ السين و دحرجةِ الراء، حنانِ الميم و خضرةِ الجيم.

رصصتُهم جميعاً أمامي و صرختُ فيهم: قائدَ الجند يا تاجرَ العبيد، وطني السجان يا سارق الذكريات، نفوس السواد نفوس العطن، ألوان الأعلام ألوان القطيع، عيون التفرقةِ عيون الألم .. أنا لا أنتمي إليكم، و إليكم لا أنتمي، وطني هو ما اخترته و اختارني، وطني هو ما اختارني و ما اخترته، أما وطن لم أختَرْهُ و ما اختارني لا أرغبَه .. وطني حيث القلوب البضة جيرانٌ تُوقظ بعضها بفرحٍ لتلتقي كلَّ صباح، وطني في قلب امرأة آمنت بي قبل أن ترى معجزتي، وطني بين أراضٍ أجملَ من أن تدعسها قدمي، أمشي شاخصاً للنجوم تهديني، لا سورٌ يمنعني ولا شوكٌ يدميني، وطني في عيون الأطفال لم تُضَيقِ الدنيا انفراجتها بعد، وطني في الكلمات أحييها بالصوت، و وطني بين النخيل شامخاً أقضي وقوفاً، و كلما ضاق صدري من بقعة ارتحلتُ، صارت الأرض الجديدة وطني، وطني في صدري أحمله و أمضي. ووطني عند العزيز فوق السماوات، عند أبي آدم في بيته الأولِ .. أما أنتم، فأنا لا أنتمي إليكم .. و إليكم لا أنتمي.

أنا لا أنتمي.

أنا لا أنتمي.

أنا لا أنتمي.

أبي

أبي، ما زلتُ أذكرَ بُكائي الصيفيَ كلمَا رأيتُك تَهِمّ بالرحيل، لم أكن أبكي فقط لأنني لن أراك شهوراً طويلة، بل لأنني لن أرى بسمتَك تداعبُ عينَ أمِّي في الشرفة وأنتما تتناولان الفطور كلَّ صباح، و لن يُنْشِلَ حديثُكما الهادئُ النومَ من عيني بخفة يد اللص، فأصبحُ آذاني وارفة تزقزق عليها طيور الصباح، و لن أضحك ملءَ قلبي من نكاتِكَ و طرائفك التي غابت بعدَ رحيلِ أمِّي، و لن أنعمَ بقصةٍ في الفراش تُباغتُ عينَكَ بالنوم قبلَ أن تغلبَنا بالنُّعاسِ أنا و إخوتي.

أبي فلتعلم أنكما زرعتما الربيعَ بداخلي، أَبَيتُما أن تتزوجا قبل بضعِ و ثلاثين، أَبَيْتُما أن تتزوجا لتتزوجا، انتظرتما حتى التقتِ الروحان على الأرض التقائهما في السحاب، فكنتما كعندلة عودٍ هادئٍ مُصَفَّى

من نشازِ الطيش، أحببتُ أمَّي لكنَّها لم تكن أبداً بحنانك، كافحْتَ بالرّوِيةِ اندفاعَ الصبىَ، لملمت حولك شتاتنا و أشعلت لنا نبراسنا.

أبتي، لم أركَ تبكي قط لكني سمعتُ بكاءَك، يوم فقدتَ نجمتك المضيئة، أعلم أنَّ كلَّ شيء انطفأ بداخلِك يومها، كلُّ شيء مشرقِ خرجَ مع دموعك الساخنة تلك، و بقيَ داخلك مرجٌ أخضرَ لينُ البسيطة، رحباً بما وَسِعَ، لكنَّه لا يُنبت زهراً.

أبتاه، أورثتني دون إخوتي حبّ الكلمات، لم تغرس بذورها لكنك تابعت ريَّها، أطفأتَ كلماتك كي لا تطغى على أشعَّتِي، و أشعلت بنورك نفسيَ الضائعة. لم تنضُج كلماتي في عمر أمَّي فكان كلُّ ما كتبتُه لها رثاءَ، و لأن قلبي أضعف من الرثاء مرتين لن أنتظر، و لأن قلبَك أحقَّ بزهور الكلمات التي رُويَت سأقطفها الآن.

سِرْ يَا شِراعِي أَمَامِي فأنَا ابْنُ ظِلِّكَ الهادِي.

ارْوِنِي بنَعِيمِ وُجُودِكَ حتَّى التَّضَلُّعِ.

سلامُك الدَّاخِلِيِّ يَنفُذُ مع نَفَسِكَ الشَّادِي.

دَامَتْ لِي أَنْفَاسُكَ سَلاماً فِي مَخْدَعِي.

وَدَدْتُ حِلْمَكَ و جَلّدَكَ لنفسِي أَسْرِقُهُم.

ولوْ أنَّ قلْبَكَ - لضيقِ صَدْرِي- ضَيّفُهُ الثَّاوِي.

بَدَّلْتَ حُلمَكَ بأَحْلامِنَا و النَّفْسُ راضية.

و عَقَدْتَ قُلبكَ بإيمانكَ علّه يواسِي.

تَسِيرُ بَيْنَ النَّاسِ بالسَّجِيّةِ فتَأسِرَهُمْ.

فَيَا طِيبَ سَيرِك، تَسِيرُ كَمَا تَنْسَابُ القَوَافِي.

و سِيرَتُك بَيْنَ العَالمِينَ سِيرَةٌ شافية.

تُطَبَبٌ كَمَا الطبِيبُ إذ تحدثت الأسماعِ.

سِرْ يَا وَالِدِي، دُمْتَ لِي أَبَدَ الحياةِ أماني.

سِرْ لا شَقَّ اللهُ قِلاعَكَ، أنَا الإمَامُ وأَنْتَ إِمَامِي.

الفهرس

1- الرسالة الأخيرة	1
2- تراتيل العشق	6
3- الفقد	10
4- سخافات	13
5- في ذم الضعف	18
6- بوح الأرواح	21
7- آسف	27
8- كآبة	32
9- شتات	37
10- خيالات	43
11- في مديح القلم	50
12- في اللا انتماء	54
13- أبي	61

رسالة ..

إلى كل إنسان على هذا الكوكب الافتراضى .. كن فى الحياة إنسان ..وصل رسالة طيبة للناس وانشر بينهما الخير والحب والسلام ..كن أنت فقط ولا تحاول أن تكون غيرك ..اصنع لنفسك عالم يليق بك .. إزرع داخلك الثقه والطموح والتفاؤل والرضا وحب الله والذات والوطن .

" الناشر "

للتواصل مع الدار :

www.facebook.com/dar.cleopatra

Gmail : dar.cleopatra@gmail.com

للاتصال:

01019983371/01125574129/0225244534

تمت